كشف الأغلاط
فيما ذكره الأخ سعد النايف في مقاله
من مقدمة ونقاط

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطاهرين وصحابته المتقين ، أما بعد :
فقد اطلعتُ على مقال للأخ سعد النايف الزوبعي سدده الله، ومقاله بغير عنوان!، حول الفتنة التي حصلت بين السلفيين (فتنة الصعفقة)، وزعم أنه من خوفه على الشباب السلفي في العراق وجَّه لهم هذه المقالة في عدة نقاط، وتعداد هذه النقاط عشرون، فعزمتُ أن أكشف الأغلاط التي رأيُتها في هذه النقاط بالإضافة إلى مقدمته، من باب إبراء الذمة، لئلا يغترَّ بها أحدٌ من الشباب وينجرف في هذه الفتنة، والله الموفِّق.

قال الأخ سعد النايف سدده الله:
((بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على رسوله الكريم، أما بعد:
فقد منَّ الله علينا بمنة عظيمة وهي نعمة الإسلام والسنة ، وذلك يوجب علينا الشكر والإعتراف بالفضل والخوف من السلب، سلب هذه النعمة التي بها سعدنا واهتدينا، ولكن الفتن في هذا الزمان تعرض هذه النعمة للزوال نسأل الله تعالى العافية.
ومن هذه الفتن ما يحدث من خلاف بين السلفيين بسبب كلام الشيخ محمد بن هادي المدخلي سدده الله في بعض طلاب العلم القريبين من المشايخ ربيع بن هادي وعبيد الجابري وعبدالله البخاري حفظ الله جميع مشايخنا.
ويا لها من فتنة كبيرة تموج كموج البحر، وهي أعظم من كل الفتن الماضية التي مرت على السلفيين في هذا الزمان، ولا تأتي فتنة الحلبي عشر معشارها)).

أقول:

بعض الناس يحاول أن يصوِّر هذه الفتنة الأخيرة هي أعظم الفتن على وجه الإطلاق!، وأنها أعظم من الفتن السابقة (فتنة عبدالرحمن عبدالخالق، فتنة سلمان العودة وسفر الحوالي وناصر العمر وعائض القرني، فتنة عدنان عرعور، فتنة محمود الحداد وعبداللطيف باشميل، فتنة فالح الحربي، فتنة أبي الحسن المأربي، فتنة علي الحلبي...)، وهذا التصوير غلط وإن قال به من قال، وردده خلفه البعض كالببغاوات!.

فهذه الفتن السابقة كانت تدور حول (مخالفة الأصول السلفية أو موافقة الأصول البدعية)، فهي فتن بين منهجين (منهج السلف والسنة ومنهج الخلف والبدعة).

أما هذه الفتنة الأخيرة فهي فتنة داخل المنهج الواحد، الخلاف فيها يدور حول مسالك مشينة وتطبيقات خاطئة من بعض الناس المنتسبين للمنهج السلفي، ولم يُبدِّع بعضهم البعض، بل لا يرى المختلفون جميعاً أنَّ هذه المخالفات تستحق التبديع حتى هذه الساعة!.

فكيف أصبحت الفتنة داخل المنهج الواحد لا تصل عشر معشار الفتنة التي بين منهجين مختلفين؟!

ومما يدلُّ على غلط هذا الكلام، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ذكر فتنتين تقع بعده في زمن الصحابة، وهي (الاقتتال بين الصحابة) و (قتال الخوارج)، فالفتنة الأولى كانت بين أصحاب المنهج الواحد، والفتنة الثانية كانت بين منهجين مختلفين، فكيف صوَّر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنتين؟!

صوَّر الأولى بأنَّ الخلاف كان بين طائفتين من المؤمنين دعواهما واحدة، وأثنى على من يسعى إلى الإصلاح بينهما، بينما صوَّر الثانية بأنها تخرج مارقة على الطائفتين المؤمنتين، وحذَّر من الاغترار بظاهر كلامها وعبادتها، وأخبر أنَّ هذه الطائفة المارقة يقودها سفهاء الأحلام صغار الأسنان، وأمر بقتالها وحثَّ على ذلك.

وكذلك أهل العلم أمروا بالإمساك عما شجر بين الصحابة وفي المقابل أوجبوا قتال الخوارج عند القدرة.

فهل يمكن لقائل أن يقول: إنَّ الفتنة التي حصلت بين الصحابة أنفسهم لا تصل عشر معشار الفتنة التي حصلت بينهم وبين الخوارج؟!
نترك الجواب للأخ سعد وأمثاله ممن يرددون هذه العبارة دون تأمل!.
وأنصح القارئ أن يرجع إلى [نصيحة الشيخ ربيع للسلفيين في فرنسا في ٢٨/ ١٤٢٥/٢هـ] وهي موجودة ومنشورة.
وأما وصف هذه الفتنة بـ (فتنة كبيرة تموج موج البحر) فهذه مبالغة أخرى، فالفتن التي تموج موج البحر كان الكثير من الصحابة رضي الله عنهم لا يعرفونها، وإنما تميز بمعرفتها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِى تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ ...
فهل أخذها الأخ سعد بسند عال عن حذيفة بن اليمان؟!
ومن الإنصاف أن يقال: أنَّ عظم هذه الفتنة الأخيرة يعود إلى طريقة عرض المشكلة وعلاجها، فالفتن السابقة كان مشايخنا يعرضون المشكلة ويعالجونها بالرسائل الأخوية في السر، ويصبرون على المخطئ كثيراً ويناصحونه مراراً، فإن لم يقبل النصح بعد ذلك ولم يرجع عن أخطائه ردوا عليه وحذَّروا منه وبدَّعوه إن استحق التبديع والإخراج من السلفية، وأما هذه الفتنة فالبيانات فيها علنية من قبل الكبار والصغار!، والصبر فيها قليل يكاد أن لا يُذكر!، والنصائح بينهم في جلسات معدودة لا تقارن أبداً بما كان عليه مشايخنا في الفتن السابقة، والسبب في هذا التغير في طريقة علاج المشكلة هو السعي الحثيث من قبل المحرشين والمندسين لإنهاء العلاقة الأخوية بين مشايخنا على عجالة، والله حسيبهم.

قال الأخ سعد سدده الله:
((ذلك أنها انتشرت في جميع السلفيين في العالم، فجعلتهم فريقين، منهم من بقي على الجماعة الأولى والأصل الأول الذي بُنيت عليه الجماعة مع كبار العلماء: الشيخ ربيع والشيخ عبيد، والفريق الثاني يؤيدون الشيخ محمد فيما ذهب إليه من مخالفة هذه الجماعة وإحداث هذه الفرقة.
والناظر في حال الدعوة السلفية أنها في هذه السنوات المتأخرة قد ظهرت وانتشرت انتشارا هائلا في العالم أجمع، ثم جاءت هذه الفتنة لتضربها في الصميم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)).
أقول:
أولاً: الجماعة الأولى - على حد وصف الأخ سعد – كانت تتكون من أربعة مشايخ: الشيخ ربيع المدخلي والشيخ عبيد الجابري والشيخ محمد بن هادي والشيخ عبدالله البخاري، وهذا ما يعرفه القاصي والداني ولا ينازع فيها منازع.
فالآن السلفيون افترقوا إلى ثلاث فرق:
١- فريق مع المشايخ الأربعة، ولا يقبل الطعن في واحد منهم.
٢- فريق مع المشايخ الثلاثة ويطعن في الشيخ محمد بن هادي تصريحاً أو تلميحاً.
٣- فريق مع الشيخ محمد بن هادي ويطعن في المشايخ الثلاثة أو أحدهما تصريحاً أو تلميحاً.
فلا ريب أنَّ أولى هذه الفرق بالجماعة الأولى هم الفريق الأول.
ثانياً: وصف (الجماعة) وصف شرعي ورد في الأحاديث الصحيحة، وهو يُطلق على (من كان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة) ويطلق على (جماعة المسلمين وإمامهم)، ويطلق على (العالم الذي كان على الحق وإن كان وحده أو كان معه قلة من الناس)، فأي هذه المعاني أراد الأخ سعد؟! وما حكم المخالف أو الخارج عن الجماعة عند الأخ سعد؟ هل هو سلفي أم مبتدع؟! أجمل كلامه هنا ولم يُفصِّل، وهذا الإجمال يورد صاحبه الموارد ويجعل القارئ في حيرة وظنون.

ثالثاً: حصر العلماء الكبار في اثنين منهم فقط مع وجود غيرهم في هذا العصر من تحجير الواسع، وهذه طريقة الحلبي الذي كان يدندن: أنَّ المرجع في المسائل والنوازل والخلاف إلى الأئمة الثلاثة (الشيخ ابن باز والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين)، وكان يعدهم كالإجماع الذي يحرم مخالفته.

والعجيب أنَّ الأخ سعداً سدده الله كان قبل (فتنة الصعفقة) ينصح الشباب السلفي في بعض مقالاته ومجالسه ومحاضراته إلى الرجوع إلى مشايخنا الكبار ويذكر المشايخ الأربعة (الشيخ ربيع والشيخ عبيد والشيخ محمد بن هادي والشيخ عبدالله البخاري)، فما الذي حصل حتى أصبح الشيخ محمد بن هادي ليس منهم؟ بل والشيخ عبدالله البخاري ليس منهم أيضاً مع أنَّ الشيخ ربيعاً جعله من الذين يُرجع إليهم في بعض أجوبته الأخيرة؟!

فإذن (الجماعة الأولى) كانت عند الأخ سعد تتكون من أربعة مشايخ فأصبحت الآن تتكون من شيخين!، ومع هذا لا زال يزعم أنه على الجماعة الأولى لم يفارقها!.

طيب كيف لو حصل خلاف بين الشيخين (الشيخ ربيع والشيخ عبيد)؟ وقد حصل فعلاً من قبل لما حذَّر الشيخ عبيد من بعض السلفيين وطلب الشيخ ربيع منه السكوت، ثم حذَّر منهم الشيخ عبيد وقال: "ولو زكَّاهم من زكَّاهم"، فما هي الجماعة في هذه الحالة؟!

رابعاً: إخراج الشيخ صالح الفوزان والشيخ صالح اللحيدان والشيخ عبدالمحسن العباد وغيرهم من زمرة (العلماء الكبار) كما فعل الأخ سعد هنا هذا الكلام يُربي الشبابالسلفي على عدم اعتبار كلام هؤلاء المشايخ وعدم الأخذ عنهم في النوزال الكبار والمسائل الخلافية، فلا أدري هل يقصد الأخ سعد هذا أم لا يقصده؟!

قال الأخ سعد سدد الله:

((وخوفاً منا على شبابنا حيال هذه الفتنة، أحببت أن أبين فيها عدة نقاط، منها:

١- أن الأشياء المنتقدة على هؤلاء الإخوة من طلاب العلم، الأخ عرفات وإخوانه مسائل لا تخرج عن السلفية، والأصل بقاء ما كان على ما كان، واليقين لا يزول بالشك، بل لا يزول إلا بيقين مثله، وهؤلاء الإخوة من طلاب العلم السلفيين القريبين من العلماء لهم جهود وردود على أهل البدع، فما الذي ينقلهم عن المنهج السلفي؟!))

أقول:

الذي يظهر أنَّ الأخ سعداً ينسب تبديع الصعافقة وإخراجهم من السلفية إلى الشيخ محمد بن هادي حفظه الله، وهذا الفهم يوافق ما صرَّح به صاحبه محمود الزوبعي في "البرهان الواضح الجلي"، وقد بينتُ هناك أنَّ نسبة هذا للشيخ محمد غلط، ولا يوجد من كلامه ما يدل عليه.

وإنما فهم البعض من كلمة للشيخ محمد بن هادي مبتورة من سياقها في إحدى محاضراته وهي "فإنهم ملحقون بأهل الأهواء"، ونص كلام الشيخ محمد بن هادي حفظه الله هو: ((وأيضاً هناك جنس آخر قريبون من أهل الأهواء وإن تظاهروا بالسنة في هذا العصر، في عصرنا هذا، في أيامنا هذه، وهم الصعافقة فإنهم ملحقون بأهل الأهواء))، وقال في السياق نفسه: ((فاحذروا حفظكم الله أهل الأهواء واحذروا المتشبِّهين بطلبة العلم والعلماء، فإنهم متشبِّهون وليسوا منهم في الحقيقة، هؤلاء شرٌّ وبلاء، ويوشك الله جلَّ وعلا أن يفضحهم...)).

فهم ملحقون بأهل الأهواء في التحذير منهم لمشابهتم بعض مسالك أهل الأهواء، وهم قريبون من أهل الأهواء وليسوا منهم.

قال العلامة ابن رجب رحمه الله في "النصيحة والتعيير": ((فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبَّه بالعلماء وليس منهم: فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم)).

وقال الشيخ عبيد الجابري حفظه الله في أحد لقاءاته: ((هَذِهِ قاعدة الجرح والتعديل وملخصها: أنَّ «من عَلِمَ حجّة على من لم يعلم»، فإذا حذَّر عالم من رجل وأقام عليه الدليل بأنه من أهل الأهواء أو من الجُهَّال الذين لا يستحقون الصَّدارة في العلم والتعليم، وكان هذا العالم معروفاً بين الناس بالسنة والاستقامة عليها وتقوى الله سبحانه وتعالى، فإنَّا

نقبل كلامه ونحذر من حذَّرنا منه وإن خالفه مئات، ما دام أنه أقام الدليل وأقام البيّنة على ما قاله في ذلكم المحذَّر منه، فهذا وُسعُنا، بل هو فرضنا والواجب علينا، وإلا ضاعت السنة.
فإنَّ كثيراً من أهل الأهواء يخفى أمرهم على جمهرة أهل العلم، ولا يتمكنون من كشف عَوَارِهم وهتك أستارهم لأسباب منها:
- البِطانة السيئة التي تحول بين هذا العالم الجليل السني القوي وبين وصول ما يهتِك به ستر ذلك اللَّعّاب الماكر الغشاش الدسَّاس، البطانة السيئة، لا يمكن أن يصل إليه شيء، حتى أنها تحول بينه وبين إخوانه الذين يحبهم في الله فلا يستطيع أن يقرأ كل شيء.
- ومنها أن يكون ذلك العالم ليس عنده وقت، بل وقته كله في العلم والتعليم)).
ومن كلام الشيخ عبيد حفظه الله نفهم أنَّ التحذير يكون من (أهل الأهواء) ويكون من (الجهال الذين لا يستحقون الصدارة في العلم والتعليم).
فالصنف الثاني ملحقون بالصنف الأول في (التحذير) لا في (التبديع)، ولهذا قال أهل العلم: باب التحذير أوسع من باب التبديع، وهؤلاء (الصعافقة) من أهل الصنف الثاني!.
ومعلوم أنَّ الكذب من الجرح المفسَّر، ومن ثبت عليه الكذب يجب التحذير منه ولا يؤخذ عنه العلم.
قال الإمام مالك رحمه الله: «لا يؤخذ العلم عن أربعةٍ: سفيهٍ يُعلن السفهَ وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعةٍ يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس وإن كنتُ لا أتَّهمه في الحديث، وصالحٌ عابدٌ فاضلٌ إذا كان لا يحفظ ما يحدِّث به» [«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧/ ١٦٢)].
فالتحذير إذن ليس خاصاً بأهل الأهواء والبدع.
ومع هذا كله خرجت صوتية - بعد مقال الأخ سعد - من كلام الشيخ محمد بن هادي حفظه الله يُصرِّح فيها أنه لا يبدِّع الصعافقة ولا يضللهم.
ومع هذا لا يزال البعض ينسب (التبديع/ والإخراج من السلفية) إلى الشيخ محمد بن هادي، وقد قال شيخنا الإمام ربيع بن هادي حفظه الله: «الحدادية لهم أصل خبيث: وهو أنهم إذا ألصقوا بإنسان قولاً هو

بريء منه ويعلن براءته منه؛ فإنهم يصرون على الاستمرار على رمي ذلك المظلوم بما ألصقوه به، فهم بهذا الأصل الخبيث يفوقون الخوارج».
نعم مشايخ الرضوانية أخذوا (تبديع الشيخ محمد بن هادي للصعافقة وأنهم ليسوا سلفيين) من الأخ عبدالله مهاوش الذي زعم أنه جلس مع الشيخ محمد وناصحه وطلب منه الرجوع عن طعنه في بطانة المشايخ وطلابهم فلم يقبل نصحه!، فخرج عبدالله مهاوش ونقل لأهل الرضوانية أنَّ محمد بن هادي لا يرى خصومه من السلفيين!، وهذا النقل لا يمكننا اعتماده حقيقة، لأنه أولاً يخالف ما ثبت عن الشيخ محمد من كلامه، ولأنَّ الأخ عبدالله مهاوش هداه الله ليس محل ثقة في فهم كلام العالم ونقله على وجهته ومقصده، وقد جربنا عليه ذلك من قبل.

قال الأخ سعد سدده الله:
٢- وبعض هذه المسائل لم تثبت مثل قضية الهولندي، كما ذكر هذا الهولندي نفسه وصاحبه بوشتي، وهو يباهل أنَّ الأخ عرفات لا علاقة له بهذا الموضوع، بل لو ثبت هذا فما فيه إدانة للأخ عرفات وفقه الله فهي من قبيل الإختلاف في وجهات النظر ليس إلا .
أقول:
أولاً قضية أبي أيوب الهولندي وصلت إلى القضاء، وقضاء المملكة قضاء شرعي والحمد لله، والشيخ محمد بن هادي أدلى بأقواله وأدلته أمام المحكمة، ولم يُدِينه القضاء حتى هذه الساعة، فلماذا يتكلَّم في هذه القضية الأخ سعد وأمثاله؟!
وأبو أيوب الهولندي شهد عليه جماعة من الهولنديين (وشهادتهم منشورة) أنه ساقط العدالة وأنَّ شهادته لا تقبل وأنه يحلف بالأيمان المغلَّظة كذباً وزوراً!!، وشهد عليه أحد المقربين منه أنَّ عنده مشاكل مع النساء الهولنديات وعلاقات محرَّمة بسبب مهنته الرقية على النساء!، فمثله مجروح لا تقبل شهادته ولا يُعبأ بيمينه ومباهلته.
وأبو عبدالله بوشتى خدعه عرفات ومتعصبته فلبَّسوا عليه حتى كتب بياناً استغله الصعافقة في الطعن في الشيخ محمد بن هادي، ثم تنبَّه

بوشتى للأمر، وهو الآن مع الشيخ محمد بن هادي، ويحذِّر من الصعافقة، وممن يشهد على أبي أيوب بما تقدَّم.
والشيخ محمد بن هادي حفظه الله أراد في "محاضرته" أن يُلزم الصعافقة ويدينهم بميزانهم في الجرح والتعديل: فهم كانوا يعتقدون أبا أيوب الهولندي عاهراً ومن أصحاب البارات والخمارات، وأذنوا لبعض الهولنديين بنشر معائب أبي أيوب وفضائحه، فلما صار معهم أصبح من أتقى الناس ولو كانوا يعدونه قبل ذلك عاهراً فاجراً من أصحاب البارات والخمارات، فهذا الذي أراده الشيخ محمد في محاضرته، واضطرَّ لذلك اضطراراً لبيان ميزان القوم، وليس مقصده فضح الرجل بذنب تاب منه أو تعييره أو قذفه، ولكنَّ الصعافقة استغلوا هذه القضية ليس دفاعاً عن عرض الرجل ولا تعظيماً لكبيرة القذف، وإنما أرادوا بها إسقاط الشيخ محمد تماماً بوصف (فاسق لا تقبل شهادته أبداً)، وهو حكم القاذف، فليعلم هذا.
ومع هذا فالشيخ محمد لم يقصد بكلمة (عاهر) زان، والكلمة في اللغة والشرع وكلام بعض الفقهاء تطلق على الزاني وتطلق على غير الزاني وهو الفاجر الذي يتبع الشر، وهذا يعرفه طالب العلم، ومع هذا الاحتمال لا يمكن الجزم بقضية القذف.
وأما قول الأخ سعد (بل لو ثبت هذا فما فيه إدانة للأخ عرفات وفقه الله فهي من قبيل الإختلاف في وجهات النظر ليس إلا)، يعني لو أمرهم عرفات بنشر الفضائح والمعائب مقرونة ببيان الهولنديين في إقالة أبي أيوب الهولندي من "مركز الهدى والنور" و "موقع النصيحة"، فهذا من قبيل الاختلاف في وجهات النظر عند الأخ سعد!!، وأما أن يتكلَّم الشيخ محمد في أبي أيوب من قبيل إلزام الصعافقة بميزانهم الأعوج فهذا عند الصعافقة والأخ سعد من قبيل القذف الذي يوجب الحد ويكون صاحبه فاسقاً لا تقبل شهادته أبداً!!!.
فما لكم كيف تحكمون؟!

قال الأخ سعد سدده الله:

٣- وبعض هذه الأخطاء المنتقدة تم التراجع عنها كما حصل من الأخ عبدالله الظفيري والأخ عرفات المحمدي في تراجعهما من بعض الأخطاء وفقهما الله تعالى، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

أقول:

التراجع عن الأخطاء منقبة وفضيلة؛ لأنَّ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، لكن لا بدَّ أن يكون هذا التراجع واضحاً صريحاً ليس فيه تلاعب ولا مراوغة، وهؤلاء الصعافقة كانوا يعترضون على السلفيين انتقادهم هذه الأخطاء التي صدرت منهم بل يتهجَّمون عليهم ويتهمونهم بالكذب عليهم، لكن لما انكشف الأمر وبلغ الشيخ ربيعاً حفظه الله هذه الأخطاء كانوا يُسارعون إلى التراجع خشية من كلام الشيخ ربيع فيهم!، ولهذا لا تجد في تراجعات هؤلاء ألم الخطيئة والشعور بالندم والعجلة في حذف الخطأ وكتابة البيان المفصَّل في نقضه، بل تجد فيه الغرور والتلبيس والتأويلات المتعسفة والتهجُّم على الناقد والطعن في نيته والتسويف في إصلاح الخطأ والسعي في التنقيب عن أخطاء الناقد من باب الجزاء والمقابلة!.

وعلى فرض صحة تراجعات القوم بالطريقة الشرعية، فهذه التوبة بينهم وبين الله عزَّ وجلَّ، والكلام ليس في تراجعاتهم وإنما فيما تدلُّ عليه هذه التراجعات من صدق كلام الشيخ محمد بن هادي في هؤلاء الصعافقة وأنهم غير مؤهلين للصدارة والتدريس وأنهم عندهم كذب وتناقض وفجور في الخصومة وأنهم يثيرون الفتن والفرقة بين السلفيين، فهذه التراجعات تعدُّ من أدلة الشيخ محمد بن هادي التي تثبت صدقه وكذب الصعافقة.

قال الأخ سعد سدده الله:

٤- قد طلب هؤلاء الإخوة من الشيخ محمد سدده الله أن يجلسوا إليه لكي يبدي لهم ملاحظاته وانتقاداته عليهم حتى يرجعوا عنها، فقال الشيخ محمد: والله لا أجلس معهم في الأرض ولا في السماء!.

أقول:

أولاً اعترف عبدالإله الرفاعي في "إبانته" واعترف ابن صلفيق في "وقفاته" أنَّ الشيخ محمد بن هادي حفظه الله جلس معهم واستقبلهم وناصحهم وراسلهم بالبعد عن عرفات والحذر من الوقوف في صفه، ولكنَّ هؤلاء الصعافقة أبوا إلا نصرة عرفات بالباطل والتلاعب والكذب والتحريش بين العلماء وتنفير الشباب السلفي عن الشيخ محمد، فكيف يزعم الأخ سعد أنَّ الشيخ محمداً لا يقبل الجلوس معهم؟!

وأين قال الشيخ محمد: "والله لا أجلس معهم في الأرض ولا في السماء"؟ في أي محاضرة أو لقاء؟! وهل يشهد بهذا الشهود الثقات؟ أم مجرد قيل وقال؟ وهل قاله بهذا الإطلاق أم بقيد "إلا أن يرجعوا عن أخطائهم"؟! الحكاية بلا زمام ولا خطام!.

قال الأخ سعد سدده الله:

ه- يصورون أنَّ من حول المشايخ ربيع وعبيد حفظهم الله عصابة أو شبه عصابة تبعد من تشاء وتقرب من تشاء، بكلام وطعون ليس لها مستند ولا تحقيق ولا تمحيص، إن هي إلا ظنون، (وإن الظن لا يغني من الحق شيئا)، ويلزم منه أن هؤلاء المشايخ مغفلون ولا يدرون ما يدور حولهم!، حاشاهم وكفى به من طعن، فالعلماء يعدون من الجرح في الراوي أو المحدث أنه يلقن فيتلقن.

أقول:

مسألة "بطانة السوء" الكلام فيها نفياً وإثباتاً كثير ومنشور، والحديث الصحيح يدلُّ على وجود هذه البطانة حول الشخصيات المهمة، والمشايخ كانوا يُحذِّرون من بطانة السوء التي تحيل بين العالم وبين إخوانه المحبين له أو تسعى في التحريش وإثارة الفتن أو تُلبِّس على العالم أو تلحن بالكلام المنقول إليه أو تُزيِّن له الباطل، والعالم بشر غير معصوم يخطئ ويصيب وهو عرضة للتلبيس من قبل بطانة السوء كما قال الشيخ عبيد حفظه الله.

فمن ردَّ هذا الكلام أو عدَّه طعناً في العلماء فهو في الحقيقة يرد الحديث الصحيح وكلام المشايخ الكبار، ومن استثنى من هذا الأصل

الثابت بعض المشايخ كالشيخ ربيع والشيخ عبيد وأنهم لا تحيط بهم بطانة السوء ألبتة استثناهما من غير دليل.
والواجب الإنصاف والكلام بعلم وعدل، فكل عالم ثبت بالدليل والقرائن أنَّ حوله بطانة سوء تهدف إلى تحقيق غاياتها وتصفية حسابات خصومها وتمنع من وصول الحقيقة إلى هذا العالم فيقال: هذا العالم حوله بطانة سوء، وليس هذا طعناً بالعالم بل من قبيل إعذاره، فالعالم قد لا يطلع على كل ما تقوم به هذه البطانة وقد يطلع على بعض أفعالها ويُحسن الظن بها أو يحاول علاج أخطائها بطريقته الخاصة، فهو معذور، وأما إن لم يثبت بالدليل على وجود بطانة سوء محطية بهذا العالم فلا ينبغي القول: بأنَّ هذا العالم حوله بطانة سوء، وبهذا يجتمع كلام العلماء في مسألة أثر بطانة السوء على العالم.
وبطانة الشيخين (الشيخ ربيع والشيخ عبيد) حفظهما الله شهد عليها عشرات السلفيين - من مشايخ كبار وطلبة علم فضلاء وشباب ثقات - من بلدان شتى بما يتحقق فيه حد التواتر: أنهم يُحيطون بالمشايخ بطريقة غريبة كالحصن الحصين والسوار المنيع، لا يصل الزائر إلى المشايخ إلا عن طريقهم وموافقتهم، ولا يسأل إلا بعرض الأسئلة عليهم أولاً، وهم يفلترون الأسئلة ثم يفلترون الأجوبة كما قال الشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله، ولا يقربونك من المشايخ إلا إذا تقربت إليهم وأذعنت لهم وقبلت توجيهاتهم، وإذا أغضبتهم بتصرف غير مقصود فقد يحرمونك من هذه الزيارة، وقد يعتذرون عن المشايخ ويتكلَّمون بألسنتهم فيمنعون الزيارات ويردون بعض الزائرين، وهذا أمر مشاهد وواقع ما له من دافع.
نعم الآن تغير الحال عما كانت عليه هذه البطانة قبل فتنة الصعفقة!، فبعد أن كثر الكلام فيهم وانكشف الأمر عند المشايخ أصبحت الزيارة والوصول إلى الشيخ ربيع خاصة من أسهل ما يكون، وذهبت الأعذار أدراج الرياح!.
لكن أصبح التمييز اليوم مبنياً على مقياس (الكلام في محمد بن هادي)، إن كنتَ معه فيسمح لك بالزيارة والسلام والمصافحة دقائق معدودة كما صرَّح بهذا الأخ عمر ابن الشيخ ربيع بصوته!، وإن كنتَ ضد

الشيخ محمد فلك أن تجلس مع الشيخ ربيع ما تشاء وتسأله الأسئلة المتكررة عن الشيخ محمد التي يُعرف جوابها لتوسيع الفجوة بين الشيخ ربيع والشيخ محمد وقطع الأمل بالعودة إلى ما كانا عليه، وقد تكون هذه الأسئلة من صياغة بعض أفراد هذه البطانة، ولك أن تعرض أيضاً على الشيخ ربيع بيانك في الشيخ محمد أو مقالك أو ردك على الشيخ محمد وتخرج بعبارة (قرأه على الشيخ ربيع وأذن بنشره)، وهكذا تدخل أفواج من الشباب من مختلف البلدان وتخرج بالقضية نفسها (التحذير من الشيخ محمد ومن يدافع عنه أو يسكت)، فهذا هو الواقع، والله المستعان.

قال الأخ سعد سدده الله:
٦- لو أن كل طالب علم فتش عن أخطائه لوجد في كثير من طلاب العلم ما هو أكثر ولما بقي أحد، بل لم يسلم من ذلك حتى العلماء، وخير الخطائين التوابون.
أقول:
وهذه كلمة حق يُراد بها باطل!
فكون السلفي لو فتَّش في كلام الكثير من طلبة العلم لوجد الأخطاء الكثيرة هذا لا يمنع من نقد الأخطاء والرد على المخطئين، وأخشى أن يستغلَّ هذا الإطلاق بعض أهل الزيغ فيمنع باب الرد والنقد بالكلية من أجل هذه الشبهة العليلة.
والشيخ محمد بن هادي حفظه الله منذ سنتين أو أكثر وهو يناصح هؤلاء الصعافقة ويطالبهم بالتوبة والرجوع عن أخطائهم والكف عن إثارة الفتن والمشاكل لكنهم لم يقبلوا نصحه، فهل يسكت عنهم؟ أم يُبيِّن أمرهم؟ الجواب معروف.
ثم إنَّ الأخطاء تتفاوت، فمن الأخطاء ما يدلُّ على جهل المخطئ وأنه لا يصلح أبداً للتدريس والصدارة، وهناك أخطاء من سبق اللسان أو الزلات التي لا يسلم منها عالم فضلاً عن طالب علم، فالكلام المجمل ليس حلاً لهذه المشكلة.

وكثير من الأئمة والمحدثين والحفاظ وقعوا في أوهام وأغلاط فجمعت هذه الأوهام من مروياتهم ومصنفاتهم بطريقة التفتيش والتنقيب ثم رُدَّت أو صُحِّحت أو نُقِدت من قبل علماء آخرين مع حفظ مكانة هؤلاء الأئمة والحفاظ، والأمثلة معروفة، فلا تثريب على من قام بهذه الطريقة قاصداً الذب عن هذه الشريعة الغراء ودفعاً للبس والإيهام.

قال الأخ سعد سدده الله:
٧- السلفي لا يخرج عن السلفية إلا بأمر واضح مثل الشمس، كمخالفة لأصل من أصول العقيدة أو المنهج السلفي، ولا يخرج بهذه المخالفة حتى تقام عليه البينة أو يعلم منه أنه مصر عليها ومكابر ويأبى التوبة والرجوع، وهذا ابن حجر والنووي والسيوطي لهم أخطاء في العقيدة ولكن لما لم يوقفوا عليها وتبين لهم لم يحكم عليهم بالبدعة، والحدادية يبدعونهم ويبدعون من لم يبدعهم.
أقول:
وهذا الكلام مبنيٌّ على أنَّ الشيخ محمد بن هادي يُبدِّع الصعافقة ويخرجهم من السلفية، وقد تقدَّم الجواب عن هذا.

قال الأخ سعد سدده الله:
٨- أن المسائل المنتقدة على هؤلاء الإخوة قد عرضت على الشيخ ربيع حفظه الله فقال: أنها لا ترتقي للقدح.
وقال الشيخ ربيع للشيخ محمد: دعني من عرفات، ما عندك على البقية؟ وهذا من باب الإلزام، ولأن الشيخ يعلم ما عند الشيخ محمد، فقال الشيخ محمد كيف أدعك منه وهو رأس الشر! ومقصود الشيخ ربيع واضح وهو أن الشيخ محمد ليس عنده أدلة في كلامه على طلاب العلم هؤلاء.
ثم قال الشيخ ربيع: الشيخ محمد ليس عنده ذرة دليل.
وكلام الشيخ محمد في هؤلاء الإخوة منذ ستة أشهر ولم يقم حتى الآن دليلا واحدا على جرحهم فتأمل!.

أقول:
إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرنا عند حصول التنازع بين العلماء أن نتحاكم إلى الدليل لنعرف المصيب منهم من المخطئ، وكلام الأخ سعد ومن معه كأنهم يقررون: أنَّ العالم إذا نفى وجود الأدلة عند مخالفه أو لم يرها معتبرة تصلح للاحتجاج بها فإنَّ التسليم لقول هذا العالم متحتم، وهذا خطأ يجب تصحيحه، فكلام العالم ليس حجة بنفسه فضلاً أن يكون حجة على كلام عالم آخر، وكلام العلماء يحتج له بالأدلة لا يحتج به كالأدلة.
وكم من مسألة علمية قد ينفي فيها بعض أهل العلم الدليل على منعها ثم إذا اطلعت على كلام علماء آخرين رأيتَ فيها الأدلة التي تفيد المنع؟!
وكم من رجل وثَّقه عالم من علماء الجرح والتعديل وقال: لم يتكلَّم فيه أحد، وإذا اطلعنا على كلام عالم آخر رأيناه يجرحه ويدلل على جرحه؟
فطالب العلم عند اختلاف العلماء لا يُسلِّم ابتداء لقول النافي أو المثبت من أهل العلم، وإنما يبحث ويدرس ويحقق حتى يصل إلى الصواب من أقوالهم.
وإذا عجز عن معرفة الحق فالواجب عليه أن يكون في جانب المثبت والجارح لأنَّ عندهما زيادة علم، وأهل العلم يقولون: من علم حجة على من لم يعلم، وقول المثبت مقدم على قول النافي، والجرح المفسَّر مقدَّم على التعديل المجمل.
وإذا نظر طالب العلم المنصف - المتجرد للحق غير المتعصب للخلق - إلى المسائل المنتقدة على هؤلاء، رأى من ضمنها (الكذب) كمسألة واحدة لا على سبيل الحصر!، والكذب جرحٌ مفسَّر يقدح في أخذ العلم عنهم، وقد ثبت الكذب عليهم أكثر من مرة، وقد ذكر جملة من هذه الكذبات الشيخ أبو عبدالله المدني في مقاله (الجواب الهادي)، فليرجع إليه من أراد الحقيقة.
فكيف يزعم الأخ سعد أنَّ المسائل المنتقدة على الصعافقة لا تقدح فيهم؟!

وأما ما جرى بين الشيخ ربيع والشيخ محمد في بيت الشيخ ربيع من نقاش حول الأدلة، فقد حكاه الشيخ محمد تفصيلاً بما لا مزيد عليه، فالشيخ محمد عرض على الشيخ ربيع الدليل الأول (شهادة البحرينيين)، فقال الشيخ ربيع: كذَّابون!، وهو لم يعرفهم أو يتذكرهم في تلك الجلسة!!، ثم صدقهم في تراجع عرفات!!!، وعرض عليه الشيخ محمد الدليل الثاني (شهادة مزمِّل فقيري)، فرمى الشيخ ربيع هذه الورقة وقال: دعني من عرفات، ماذا عندك على غيره؟، فقال الشيخ محمد: عرفات هو رأس الشر، يعني كيف أدعك من عرفات وعرفات هو أصل القضية وغيره تبع له؟ والشيخ محمد لما رأى أنَّ الشيخ ربيعاً لا يريد مواصلة عرض الأدلة التي تدين عرفات أخذ أوراقه وقال: سأعرضها على العقلاء وهم يحكمون، فقال الشيخ ربيع متبسماً: أي عقلاء؟ فقال الشيخ محمد: عقلاء بني آدم، وانتهى المجلس.

وفي هذا المجلس ادَّعى الشيخ ربيع أنه مطلع على كل ما يكتبه هؤلاء المنتقَدون، فأراد الشيخ محمد نقض هذه الدعوى، فذكر له جملة من تغريداتهم من حساباتهم الخاصة بهم يذكرون فيها رابط صوتية ثناء الشيخ عبيد على عرفات (وفيها كلام في الطاعن في عرفات وهو الشيخ محمد؛ لأنَّ بين كلام الشيخ محمد وثناء الشيخ عبيد أياماً يسيرة)، وينشرون ما يدلُّ على تعصبهم مع عرفات ودفاعهم عنه وتعريضهم بالمحذِّر منه، وكلما عرض الشيخ محمد على الشيخ ربيع تغريدة قال له: هل رأيت هذه؟ وكان جواب الشيخ ربيع: لا.

إذن هناك أدلة تدين عرفات بالمسائل المنتقدة عليه لم يقبل الشيخ ربيع قراءتها والتحقيق فيها، وأخذها الشيخ محمد معه لما خرج من بيت الشيخ ربيع، وهناك أوراق فيها تغريدات القوم كانت من قبيل إعلام الشيخ ربيع أنه غير مطلع على كل ما يكتبون، وتتضمن أدلة تدين هؤلاء بالتعصب لعرفات والتعريض بمن يُحذِّر منه، وهذه الأوراق تركها الشيخ محمد في بيت الشيخ ربيع.

فماذا فعل الصعافقة؟!

عدَّ الصعافقة هذه (التغريدات) هي أدلة الشيخ محمد (كما صرَّح بذلك أبو حاتم البليدي في رسالته "الحق المبين"، وجمع هذه التغريدات

فيها)!، وهذا كذب صريح وتلاعب قبيح يدلُّ على شدة مكر هؤلاء وتلبيسهم على السلفيين.

فهذا الذي حصل في بيت الشيخ ربيع حفظه الله تماماً لا ما أجمله الأخ سعد وحمل مجمله على فهمه!.

وأما أنَّ الشيخ محمد بن هادي حفظه الله ما عنده ذرة دليل أو ولا نصف دليل ولم يقم دليلاً واحداً منذ أن خرج عن صماته، فهذا نفي مجرد في مقابل إثبات هذه الأدلة في محاضرة "آن لمحمد بن هادي أن يخرج عن صماته" وكتابة "كشف النقاب" ورسالة "نذير الصاعقة" الذي اطلع عليها الشيخ محمد حرفاً حرفاً وأيدها وطلب نشرها، وكذلك في بعض "ردود الصعافقة وتراجعاتهم" التي تشتمل على صدق كلام الشيخ محمد فيهم وعلى كذبهم عليه قبل التراجع والرد، وأدلة أخرى استجدت منهم في بعض محاضراتهم وكتاباتهم، وصاحب الحق يكفيه دليل، وصاحب الهوى لا يكفيه ألف دليل، ومن لم يبصر دليلاً واحداً من هذه الأدلة فما لنا عليه من حيلة ولا سبيل، إلا أن نتذكَّر قوله تعالى: "وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ"، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير الآية: ((وإنما كان الأمر كذلك: لأنهم معاندون، عرفوا الحق وتركوه، فالآياتُ إنما تفيد وينتفع بها من يتطلَّب الحق وهو مشتبه عليه، فتوضِّح له الآيات البينات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق: فلا حيلة فيه)).

وأنا أخشى حقيقة أن تتحول هذه الدعوى (عدم الأدلة) إلى (عدم الاقتناع بالأدلة) التي كان يدندن حولها علي الحلبي، فالحلبي اشترط (أن تكون الأدلة مقنعة للمخالف) حتى يقع الإلزام بها!.

ولهذا لما قال الشيخ ربيع حفظه الله في نصيحته لفالح الحربي: ((عليكم أن تنظروا في الأدلة وتأخذوا بها كما فعل العلماء وطلاب الحق الصادقون، ولا يجوز لكم أن تخالفوا العلماء الذين حكموا على فلان أو فلان بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة؛ فهذا هو المنطق الذي قرره القرآن والسنة وعلماء الإسلام، بخلاف ما يقرره بعض الخارجين ويدعون إليه من التقليد الأعمى مخالفين في ذلك هذا المنهج العظيم)).

علَّق على هذا الكلام علي الحلبي كما في هامش كتابه "منهج السلف الصالح/ الطبعة الثانية ص٣٩٣"قلتُ: قوله "بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة" أي إذا اقتنعوا بها وظهر لهم وجه الحق فيها كما تقدَّم تقييده بذلك مرارًا منه!.
أما إذا لم يقتنعوا بها – وهذا ممكن جدًا وإلا ما حصل اختلاف قط – فلا سبيل معهم إلا النصح والتفاهم والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأما إلزامهم بما لم يقتنعوا به وأطرهم على أن يقولوا بما لم يؤمنوا به: فهذا وجه آخر لذلك التقليد، بل أقبح!. ثم لو كان الجرح من حيث الواقع واضحًا قاطعًا لما اختلفوا فيه أصلًا، فتأمل)).

قال الأخ سعد سدده الله:
٩- إذا تعارض الجرح والتعديل في شخص فلابد من تفسير الجرح وأن يكون واضحا مدللاً عليه، فإنَّ أهل العلم لم يلتفتوا الى جرح ابن أبي ذئب في مالك، ويحيى بن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح المصري لشهرتهم في إمامة السنة وضعف الجرح.
والشيخ محمد لم يقم الأدلة الواضحة التي تدين هؤلاء الإخوة من طلاب العلم المذكورين، وقد رد الشيخ ربيع على فالح الحربي الحدادي بسبب ذلك فقال له: أنت تبدع السلفيين المعروفين بالسلفية بدون بينة وبرهان، راجع المجلد التاسع من مجموع الشيخ ربيع حفظه الله.
أقول:
من العجائب أن نرى الأخ سعداً لا يلتفت إلى كلام الشيخ محمد بن هادي في (الصعافقة) ويعدُّه من كلام العلماء بعضهم في بعض!، بينما نراه يلتفت إلى كلام الشيخ ربيع والشيخ عبيد في أخيهم الشيخ (محمد بن هادي) ولا يعدُّه من كلام بعض العلماء في بعض، الذي يطوى ولا يروى، ولا يلتفت إليه ولا يعبأ له!.
فبأي ميزان جعلت يا أخ سعد (الصعافقة) في مصافِّ الأئمة الكبار الذي تُكلِّم فيهم بغير حق، وأخرجت (الشيخ محمد بن هادي) من هذه المقارنة؟!

وأما دعوى (لم يقم الشيخ محمد بن هادي الأدلة الواضحة على إدانة الصعافقة) فهذه دعوى تقدَّم الكلام في نقضها، وأنتم يا أخ سعد بين أمرين لا ثالث لهما:
الأول/ أن تقولوا: لا توجد أدلة أصلاً، وهذا خلاف الواقع، وأخشى أن يدخل في الكذب.
الثاني/ أن تقولوا: توجد أدلة ولكنها غير كافية للقدح فيهم أو غير معتبرة لا تصلح للاحتجاج بها، فالواجب عليكم أن تذكروا هذه الأدلة في ردودكم ومقالاتكم وتنقضوها دليلاً دليلاً بالحجة والبرهان، ليعرف القارئ أنها غير معتبرة أو غير قادحة أو غير ثابتة، أما أن يرى السلفي تراجعات القوم التي تدلُّ على صدق كلام الشيخ محمد بن هادي فيهم، ثم لا يرى منكم نقضاً لهذه الأدلة، فاعلموا أنَّ هذا السلفي لا يتزعزع عن جانب الإثبات والجرح المفسَّر أبداً لأنَّ معه زيادة علم ومعكم نفي مجرد وتعديل مجمل.
وأما تشبيهكم لطريقة الشيخ محمد بن هادي بطريقة فالح الحربي، فهذا يدلُّ على عدم معرفة بحقيقة الخلاف مع فالح، ففالح الحربي لا يقبل أن يُطالبه أحد ببيان الأسباب وإقامة الأدلة في جرح الأشخاص المشهورين بالسلفية أو الذين يزكيهم علماء آخرون ويردون هذا الجرح، واخترح لهذا الأصل الباطل تقسيماً محدثاً فزعم أنَّ باب الكلام في المخالف والمناهج يختلف عن باب الكلام في الرواة والرواية، فالأول لا يطالب بتفسير الجرح، والثاني يُطالب به.
فإذا عرفتَ هذه الحقيقة يا أخ سعد فهل الشيخ محمد بن هادي يقول بهذا الأصل وهذا التفريق؟!
فإن قلت: هو لا يقول بهذا بلسان المقال لكن بلسان الحال.
قلتُ لك: الشيخ محمد بن هادي جاء إلى الشيخ ربيع وعرض عليه أدلته، وعرض أدلته في محاضرته المشهورة ومقالته "كشف النقاب" وفي غيرهما، فسواء كانت هذه الأدلة معتبرة أو غير معتبرة - هذا تقدَّم الكلام عنه - فالشيخ محمد لم يمتنع عن عرض الأدلة، فكيف يقاس بطريقة فالح الحربي الذي يمنع من مطالبته بعرض الأدلة؟! أليس هذا من نوع القياس مع الفارق؟!

ثم كان الأحرى بك يا أخ سعد أن تُنكر القاعدة التي نافح عنها عرفات المحمدي بقوة وهي "ردك لجرحِ العالم جرح فيه"، التي تقتضي عدم جواز رد جرح العالم مطلقاً فضلاً أن يُطالب بالأدلة وتفسير الجرح!، فهذه القاعدة تتوافق من جهة الإطلاق مع تأصيل فالح الحربي المتقدِّم، فتأمَّل ولا تتعجَّل.

قال الأخ سعد سدده الله:
١٠- ومع وجود أكابر العلماء مثل الشيخ ربيع والشيخ عبيد ما كان للشيخ محمد وفقه الله أن يحكم على هؤلاء الإخوة من طلاب العلم حتى لو ارتكبوا أخطاءا، فالشيخ ربيع لم يبدع سفر وسلمان وناصر العمر وعايض لوجود كبار العلماء في زمنه، الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهم الله تعالى مع أنهم كانوا يحيلون عليه في الرد على الرجال والمناهج.
أقول:
هذا الكلام باطل بيقين!
فالشيخ ربيع حفظه الله كان يرى تبديع هؤلاء في زمن الأئمة الثلاثة ولكنه لم يُصرِّح بتبديعهم قبل أن يتكلَّم فيهم هؤلاء الأئمة، والتبديع شيء وعدم التصريح به في أول الأمر شيء آخر، فتنبَّه سددك الله.
والأخ سعد بكلامه هذا كأنه يؤصِّل قاعدة (لا يبدِّع العالم من يستحق التبديع مع وجود علماء أكبر منه)!، ولا أدري من سبقه بهذا، فالإمام أحمد رحمه الله كان يُبدِّع من يستحق التبديع مع وجود من هو أكبر منه ومن مشايخه، والأمثلة كثيرة.
فهل التبديع محصور في (كبار) العلماء؟!
طبعاً هذا تحوِّل جديد في طريقة الأخ سعد، فقد كان يقرر من قبل (فتنة الصعفقة): أنَّ حكم طالب العلم غير ملزم كخبره، وحكم العالم ملزم كخبره، واليوم كأنه يقرر: أنَّ العلماء قسمان، (كبار العلماء) ولهم حق التبديع و (علماء) وليس لهم الحق في التبديع مع وجود الكبار!، فهل يلتزم بهذا؟!

ثم يا أخ سعد متى خرج الشيخ محمد بن هادي حفظه الله من (كبار العلماء؟!
وما هو ميزان الإدخال والإخراج عندك؟!
ومن باب الإنصاف لعلَّ الأخ سعداً أراد أنَّ الشيخ محمد بن هادي لو عرض القضية على الشيخ ربيع لأنه مرجع السلفيين في هذا العصر ولأنَّ هؤلاء طلابه الذين يحيطون به ولأنَّ الكلام فيهم يفتح باباً لأهل البدع في الطعن في الشيخ ربيع نفسه وردوده السابقة على رؤوس المبتدعة في هذا الزمان، فيرى الأخ سعد أنَّ المصلحة تقتضي السكوت عن أخطاء هؤلاء وترك معالجتها للشيخ ربيع.
فأقول: هذا أمر فيه أخذ ورد، ومراعاة المصالح والمفاسدة وخاصة عند التعارض قد لا يحسنه كلُّ أحد وقد يختلف في تقديره أهل العلم أنفسهم، فالأمر غير ملزم للشيخ محمد بن هادي وهو عالم من العلماء، وخاصة أنه يرى أنَّ هؤلاء أفسدوا كثيراً ولا ينبغي السكوت عنهم بعد أن أعلنوا الحرب عليه والسعي في إبعاده عن الساحة السلفية.

قال الأخ سعد سدده الله:
١١- يلزم من الكلام في كل بطانة الشيخ ربيع والشيخ عبيد والشيخ عبدالله، الطعن فيهم، وقد يحاولون الطعن في أحكامهم في الرجال كما يقولونه في محمد الإمام أنه قد ظلم بسبب هذه البطانة زعموا، وهكذا يقول الحلبي وعرعور ولطيف الكردي وغيرهم، أنهم قد ظلموا بسبب هذه البطانة وصرحوا بذلك، مع أن الشيخ حفظه الله تكلم على هؤلاء المنحرفين بناءا على ما صدر منهم من أخطاء عقدية أو منهجية نشروها هم في كتبهم أو منشوراتهم أو ثبتت عليهم بالدليل.
أقول:
الذي أفهمه من كلام الأخ سعد أنَّ الكلام في (بعض) بطانة الشيخين لا يلزم منه الطعن فيهما، وإنما يرى الأخ سعد أنَّ الطعن في (كل) بطانة الشيخين يلزم منه الطعن فيهما، وهذه نقطة مهمة يُمكن أن

نستفيد منها في نقض قاعدة الصعافقة المطلقة (الطعن في بطانة العالم طعن فيه).
لكن ماذا يقول الأخ سعد: هل يرى أحداً من بطانة الشيخ الألباني رحمه الله المعروفة في مجالسه لم يتغير عن المنهج السلفي؟!
فإن قال: يوجد، فليذكر لنا اسماً واحداً فقط.
وإن قال: لا يوجد، فهل الطعن فيهم يعدُّ طعناً في الشيخ الألباني؟!
نتمنَّى للأخ سعد التوفيق في الجواب.
وأما ما ذكره الأخ سعد في كون الكلام في كل بطانة الشيخين يفتح الباب في إسقاط أحكامهما في المجروحين السابقين، فهذا فيه نوع تخوف حقاً، لكنَّ السلفي إنما قَبِلَ أحكام الشيخين في المجروحين للأدلة الساطعة والبراهين القاطعة على جرحهم وليس لكون بطانتهم صالحة لا سوء فيها!، فلو ظهر فساد البطانة لا يلزم منه فساد الأدلة إلا ممن كان في قلبه زيغ فيتبع مثل هذه المعاذير الواهية.
ثم لماذا لا يتخوَّف الأخ سعد من الكلام الشديد في الشيخ محمد بن هادي لعدم اعتبار تحذيره من هذه البطانة، أنَّ هذا يفتح باباً لتسلط الصغار على الكبار في البيانات والمقالات والردود لمجرد مخالفتهم في بعض الأشخاص جرحاً أو تعديلاً؟!
المنصف يتخوَّف من هذا وذاك، والثاني لعله أشد، والله أعلم.

قال الأخ سعد سدده الله:
١٢- بسبب كلام الشيخ محمد هذا حدث خلاف كبير بين السلفيين في العالم أجمع مما يعرض السلفية إلى ضربة شديدة قد تودي بسقوط عدد كبير من السلفيين في براثن البدع وهذه المفسدة تلوح لكل ذي لب، فكيف لم يلاحظها الشيخ محمد سدده الله؟!.
أقول:
أما وجود المفسدة فلا يمكن إنكارها بالكلية، ولكن هل تكلَّم الشيخ محمد بن هادي في هؤلاء اختياراً أم اضطراراً؟ ذكر حفظه الله في بداية "محاضرته المشهورة" أنه اضطرَّ إلى هذا اضطراراً، وأنَّ هؤلاء الصعافقة لم يتركوا له مجالاً للصبر عليهم والسكوت عنهم ولهذا خرج عن صماته.

والشيخ ربيع حفظه الله والشيخ عبيد حفظه الله تكلَّما في بعض الأشخاص هم أكثر علماً من هذه البطانة وأوسع شهرة في الساحة السلفية ولم ينظروا إلى هذه المفسدة التي أشار إليها الأخ سعد في كلامه.
ثم هذه المفسدة سببها هؤلاء الصعافقة كما تقدَّم الكلام في هذا، ومع هذا يقابل هذه المفسدة مفسدة أعظم منها وهي تصدُّر هؤلاء الصعافقة كمرجعية للسلفية بعد موت الشيخين أطال الله في أعمارهما بالتقوى وختم لهما بالحسنى، وهؤلاء الصعافقة غير مؤهلين لهذه المنزلة، فهل يرى الأخ سعد هذه المفسدة؟ وهل يعدُّها مفسدة أعظم؟ نترك الجواب له.

قال الأخ سعد سدده الله:
١٣- في كلام الشيخ محمد على هؤلاء الإخوة إعطاء فرصة لأهل البدع للطعن في السلفيين بأنهم تسقيطية وما أبقوا أحدا، والشماتة بهم، والحصيلة أن المشايخ ربيع وعبيد وعبدالله حفظهم الله محاطون ببطانة سيئة، والشيخ عبدالله كذاب! حاشاه، فمن يبقى؟!.
وفيها أيضاً فتح للباب على مصراعيه لطعن السلفيين وتمزيق صفهم بدون حجة ولا دليل يقيني، وتشجيع المتهورين المتسرعين الذين يخربون البيت السلفي، ويفرقون بين أهله، كما هو صنيع هؤلاء المتسرعين هداهم الله.
أقول:
هذه المخاوف كلها موجودة في تحذير الشيخين (الشيخ ربيع والشيخ عبيد) حفظهما الله من بعض الأشخاص المشهورين في الساحة السلفية، ومع هذا لم يلتفت السلفيون لهذه المخاوف، وقبلوا أحكام الشيخين المبنية على الأسباب الواضحة والأدلة الساطعة، ولم يلتفتوا إلى قول أهل التمييع آنذاك: لم يبقِ غلاة التجريح أحداً إلا وتكلَّموا فيه!.
وأما كلام المشايخ المعاصرين أصحاب المنهج الواحد بعضهم في بعض، فهذا واقع من الطرفين، وقد يكون طرف أشد من الأخر وأصرح، ومنهج أهل العلم في مثل هذا أن يطوى الكلام ولا يروى، ولا يلتفت إليه.

وقول الأخ سعد (بدون حجة ولا دليل يقيني) أفهم منه أنه يرى وجود أدلة وحجج عند الشيخ محمد بن هادي ولكن غير يقينية، فهل هذا الذي أراده الأخ سعد؟ فإن كان كذلك فمعلوم أنَّ الأدلة الملزمة قد تكون يقينية وقد تكون ظنية، فقد لا تصل دلالة الدليل إلى القطع واليقين ومع هذا يجب الأخذ بالدليل والعمل به، فالعمل بغالب الظن أو بالظن الراجح طريقة أهل السنة خلافاً لأهل الكلام والعقل والرأي والفكر الذي يردون الأدلة الظنية.

قال الأخ سعد سدده الله:
١٤- بدأوا بمن يسمونهم بالصعافقة كما في منشور "نذير الصاعقة"، والآن يردون على الشيخ ربيع كما في "الجواب الهادي" في الرد على الشيخ ربيع بن هادي، ويقولون: ان الشيخ ربيع صار ينسى وأنه قد كبر سنه وأن هذه البطانة هي التي تسيره، زعموا وحاشاه من ذلك، كل ذلك تمهيدا لإسقاطه وإسقاط أحكامه، بل يقولون أحكام الشيخ ربيع لا تؤخذ بسبب وجود هذه البطانة حوله، ولا حول ولا قوه إلا بالله، ولا أدري الى أين تنتهي هذه القضية!.
أقول:
أما الصعافقة فنعم هذا هو الاسم الذي يستحقونه، فهم تصدَّروا للتدريس قبل الأوان، وما ظهر لنا منهم عظيم وما خفي علينا أعظم، فقول ابن صلفيق "الميزان هو صفة الله عز وجل" لا يجهله صبيان أهل السنة، ومثله قول فواز المدخلي الذي جعل قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" من أدلة نزول الله عزَّ وجلَّ، وخطب عبدالواحد المدخلي المسروقة بالحرف، وفتوى عرفات المحمدي في جواز نكاح المسلم للنصرانية من غير ولي أمرها إن كان في دينها يشرع ذلك، وعبدالإله الذي لا يجيد قراءة سطرين من غير أخطاء نحوية، ودورات الصعافقة في مختلف البلدان التي تدلُّ على ضحالة المستوى العلمي عندهم وأنهم يكتفون بقراءة المتن مع شرح موجز لبعض أهل العلم المعاصرين، وبعض المسائل التي يدَّعون فيها الإجماع ولا يعتبرون قول

بعض الأئمة، وغير ذلك، كلها تدلُّ على أنهم مفاليس في العلم والفقه، وأنَّ تصدُّرهم للتدريس يجر على السلفيين الويلات في عاقبة الأمر.
وأما دعوى الأخ سعد وغيره أنَّ في "نذير الصاعقة" و "الجواب الهادي" طعونات في الشيخ ربيع والشيخ عبيد حفظهما الله، فهذه دعاوى تحتاج إلى إقامة بينات على صدقها، فليكتبوا رداً عليهما يجمع هذه الطعونات فيهما فقط، حتى نصدِّق هذه الدعوى.
ويُفهم من كلام الأخ سعد أنَّ هاتين الرسالتين اشتملتا على هذه العبارات التي أشار إليها في كلامه أعلاه، ونحن بحثنا فيهما فلم نجد هذه الكلمات، بل وجدنا ما ينافيها، ووجدنا التقدير والاحترام في الجواب على تعليقات الشيخ ربيع حفظه الله، فلعلَّ الأخ سعداً قصد غير هاتين الرسالتين!، ووهم في نسبة هذه العبارات إليهما!، أو لعلَّه تلقف هذه من غيره دون قراءة لهاتين الرسالتين!، أقول: لعلَّ من باب حسن الظن به.
ولو قارن الأخ سعد مقارنة منصفة بين ردود نزار بن هاشم وعبدالإله الرفاعي وعبدالله بن صلفيق وعلي الحذيفي وعبدالعزيز سير مباركي وفواز المدخلي وغيرهم كثير على الشيخ محمد بن هادي وبين "الجواب الهادي على تعليقات الشيخ ربيع حفظه الله"، لظهر له الفارق الكبير بين التعالم وسوء الأدب والطعون الشديدة في الشيخ محمد في ردودهم، والاحترام وحسن الأدب والتقدير للشيخ ربيع في "الجواب الهادي"، فإن لم يبصر هذا الفارق فلا سبيل لنا عليه.
بل لو قارن بين رده ورد صاحبه محمود الزوبعي وما تضمن من تشبيه الشيخ محمد بفالح الحربي وعد فتنته أعظم من فتنة علي الحلبي وعبدالرحمن عبدالخالق ومخاطبته كما يُخاطب مبتدئ في طلب العلم أو متهور طائش من شباب السلفية، ثم نظر في "الجواب الهادي" لنطق لسانه إن كان منصفاً بالثناء على مقال "الجواب الهادي"، ولكنَّ الإنصاف قليل.

قال الأخ سعد سدده الله:
١٥- هذه الفتنة في المدينة حيث موطن هؤلاء العلماء فيبعد كل البعد أن يروج عليهم الكذب والتعمية والتضليل الذي يزعمونه!، وهم من أكثر الناس ذكاءا وفطنة، لأن علمهم علم الجرح والتعديل قائم على ذلك، ويبعد أن يتفق الجميع على تضليل هؤلاء العلماء حتى أولادهم وأهلوهم!، وهم يعيشون في أوساط ذلك المجتمع فتنبه!.
ومن عرف الشيخ ربيع وجلس إليه يعلم كذب هذه الفرية، فالشيخ لا يقبل الكلام إلا بأدلته وخصوصا في الأشخاص.
أقول:
من فمك ندينك أخي سعدا!
فالشيخ محمد بن هادي حفظه الله أيضاً في المدينة، وهؤلاء كانوا في أول الأمر من طلابه الملازمين له لكنهم رأوا التصدُّر والتدريس قبل أوانهما وقبل التأهل فهجروه، والشيخ محمد قال في [كشف النقاب ص٣]: "أعرف القوم وما هم عليه جيداً".
والشيخ محمد أثنى عليه كبار العلماء وعدَّه الشيخ أحمد النجمي رحمه الله من "علماء الجرح والتعديل" في هذا الزمان.
والشيخ محمد يقول لتلميذه أشرف بيومي وفقه الله: ((والله يا ولدي إني لا أتكلَّم في الرجال حتى تجتمع عندي الأدلة بصوته أو بخطه، ثم إني واللهِ لأستخير اللهَ مرات ومرات - وظلَّ يردد ذلك كثيراً - ثم أتكلَّم فيه)).
فلماذا لا يُلتفت إلى كلامه؟!

قال الأخ سعد سدده الله:
١٦- والشيخ محمد كانت له منزلة كبيرة عند الشيخ ربيع قبل أن يظهر منه هذا الطعن في إخوانه من طلاب العلم، وكان يذهب إلى الشيخ ربيع ويجلس إليه، فلماذا لم يبين له ذلك لو كان؟!.
ولو كان الشيخ ربيع يميل مع أحد لمال مع الشيخ محمد لكون منزلته عنده كانت أعلى من منزلة الأخ عرفات وغيره من طلاب العلم، ولكن الشيخ ربيعا ثابت على الحق لم يداهن فيه أحدا وفقه الله.

ولقد حضرنا عند الشيخ ربيع منذ عام ونصف تقريبا في بيته مع مجموعة من طلاب العلم العراقيين، ثم جاء شباب ألبانيون قسم منهم معتمرون وقسم من تلامذة الجامعة الإسلامية وشكوا من الشيخ محمد وقالوا: يقول لنا الشيخ محمد قد تغيرتم، ولست بالخب ولا الخب يخدعني، وانكر عليهم الشيخ ربيع مخاصمتهم للشيخ محمد وغضب عليهم وطالبهم بالأدلة وقال لواحد منهم ألست أنت الذي نشر الصور فقال له نعم يا شيخ لكني تبت، فالشيخ حريص على وحدة السلفيين وعدم تفرقهم بسبب أمور نفسية أو خلقية أو ما أشبهها.

أقول:

الشيخ محمد بن هادي حفظه الله شكى هؤلاء الصعافقة للشيخ ربيع حفظه الله في أكثر من مجلس قبل أن يخرج عن صماته وقد اعترف بهذا عبدالإله الرفاعي في "إبانته"، ولكنَّ هؤلاء الصعافقة كانوا ألحن بالحجة من الشيخ محمد لأنهم يتلاعبون بالكلام ويكذبون ويُلبِّسون وينقلون خلاف الواقع، والشيخ ربيع يقضي على نحو ما يسمع، وهو يحسن الظنَّ بهم، فلا تثريب على الشيخ ربيع، وإنما إنكارنا وتشنيعنا على هؤلاء الصعافقة الذين يكذبون ويُلبِّسون ويُحرِّشون.

وقد رأينا ورأى الأخ سعد أنَّ شيخنا الشيخ ربيعاً حفظه الله قد لا يقبل الكلام في بعض الأشخاص الذين يثق فيهم ويزكيهم في أول الأمر، ويدافع عنهم، ويصبر على أخطائهم، وقد يطول هذا الأمر، وقد يشنِّع على المتكلِّم فيهم أحياناً، لكنه متى ما تبيَّن له الحق تكلَّم في أولئك وحذَّر منهم، والأمثلة معلومة، فلا نتعجَّل الأمر.

وأما الحكاية التي ذكرها الأخ سعد مجملاً كعادته، فالذي أفهمه أنا أنها حجة للشيخ محمد وتدل على صدقه وعلى كثرة المحرشين ضده، وليست حجة للصعافقة ولا للأخ سعد.

قال الأخ سعد سدده الله:

١٧- كانوا ينكرون معنا على من يطعن في طلاب العلم القريبين من العلماء، ينكرون هذا على الحلبيين وجماعة عرعور وجماعة لطيف الكردي وغيرهم ويعدون ذلك من الطعن في العلماء، واليوم هم من

يفعل ذلك! بل ينظرون أن من طعن في كل بطانة الشيخ ربيع لا يلزم منه الطعن في الشيخ حفظه الله.

أقول:

وكنتم تُنكرون معنا الذي يطعن في الشيخ محمد بن هادي حفظه الله وتعدُّون الطاعن فيه خارجاً من منهج السلف وتعدون طعنه في الشيخ محمد علامة على بدعته، واليوم أنتم تفعلون هذا وتنشرونه بين الشباب السلفي!، ولا ريب أنَّ الطعن في العالم أعظم إثماً وأشد مخالفة من الطعن في طالب العلم، فأي الفريقين أحق بالأمن؟!

وقد كتب عرفات المحمدي تنبيهاً ونشره بتاريخ ١٨/٨/١٤٣٦هـ قال فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، كتب أحد الكذابين كتابة باسمي وفيها طعونات في شيخنا العلامة محمد بن هادي المدخلي، ونشرها الكذوب، وكل ما فيها كذب ظاهر، ولما رأى هذا المريض تلاحم السلفيين أراد بعقله الضعيف ودينه الخفيف أن يحدث فجوة بهذا الأسلوب العاري عن كل خصلة حميدة وخلق حسن.

فالشيخ العلامة محمد بن هادي حفظه الله ورعاه أحرق حزب المميعة وحزب الغلاة بمنهجه السلفي الأثري، فلجأوا لهذه الأساليب المخزية التي خفيت على صناديد المبتدعة وأهل الضلال)).

فمن الذي تغيَّر؟!

قال الأخ سعد سدده الله:

١٨- تغيرت مواقفهم من بعض المنحرفين، فقد كانوا في الأمس القريب معنا ضد فتنة محمد الإمام ، واليوم يدافعون عنه ويعتذرون له بالأعذار الواهية! والذي يظهر أن الأمر كما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: الضلالة كل الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف.

أقول:

وهذا كلام باطل مبني على التشغيب والتهويل، فلم تتغير مواقفنا من المجروحين، والحمد لله.

ومحمد الإمام حذَّرنا منه ومن أصوله التي وافق فيها أصول الحلبي قبل قتال الحوثيين، ولا نرى أخذ العلم عنه، ولكنَّ أهل العلم لم يُبدِّعوه

بسبب تلك الأصول فليُعلم هذا، وإنما بدَّعه بعضهم بسبب وثيقة التعايش الكفرية مع الحوثة وموقفه المشين من قوات التحالف، والشيخ محمد بن هادي كان يُنكر عليه وعلى وثيقته ولكنه لا يبدِّعه حتى يرتفع العذر عنه قطعاً ويبقى مصراً على هذه الوثيقة، وذلك لا يكون إلا بدخول قوات التحالف إلى صنعاء، فالمسألة مسألة وقت وصبر على المخالف، وقد صبر الشيخ ربيع حفظه الله على من هو أسوأ من محمد الإمام سنوات طويلة قبل تبديعه، فأين وجه الإنكار؟!
وأما الدفاع عن محمد الإمام فهذه من كيس الأخ سعد النايف!، والكلام عن (إعذاره) لا (الدفاع عنه)، فلا ينبغي الخلط بينهما بقصد أو بغير قصداً!.

قال الأخ سعد سدده الله:
١٩- وكم هي المرات التي كان هؤلاء الشباب أصلحهم الله يلتقون فيها بالشيخ ربيع حفظه الله، وفي كثير منها يسيئون الأدب معه وهم في بيته، وقد يدخلون من دون استئذان، شباب أغمار صغار والشيخ ربيع في مقام جدهم فقد ناهز عمره التسعين سنة متعه الله بالصحة والعافية وطول العمر على طاعة الله، وكانوا يتكلمون مع الشيخ في هذه القضية ويبين لهم خطأ الشيخ محمد في موقفه هذا لكن دون جدوى.
أقول:
من يُسيء الأدب مع العالم السلفي فهذا لم يترب تربية صحيحة، ولم يمتثل لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا فيه بتوقير العالم ومعرفة قدره، ولا بارك الله في علم لا أدب معه، ولا بارك الله في طالب علم يربي الشباب على إساءة الأدب مع العلماء.
لكن ماذا يقول الأخ سعد في من يصرِّح بالطعن في العالم السلفي في مقالاته ومجالسه ويقلِّل من شأنه ويسلِّط سفهاء الأحلام وصغار الأسنان والدهماء من عوام الناس عليه؟ هل هذا يدخل في سوء الأدب أم لا؟!

والجلوس في بيت الشيخ ربيع حفظه الله وسماع حججه وكلامه في تخطئة الشيخ محمد بن هادي حفظه الله لا يلزم منه قبول هذا الكلام، فقد تكون الحجة ضعيفة والكلام قد يعارضه ما هو أقوى منه، وهذا الشيخ حسن بن عبدالوهاب البنا حفظه الله وهو من كبار السن والعلم دخل إلى بيت الشيخ ربيع حفظه الله وسمع كلامه وخرج منه ولم يتغير موقفه من الشيخ محمد بن هادي حفظه الله، بل رجع إلى بلاده وصرَّح للشباب عنده أنَّ الشيخ ربيعاً والشيخ محمداً من كبار العلماء ونحن لا نتدخل فيما يجري بينهما، وأنهما يحلان هذه المشكلة فيما بينهما، أو نحو هذا الكلام، وهو منشور في صوتية.
فما قول الأخ سعد في هذا؟!

قال الأخ سعد سدده الله:
٢٠- من المعلوم أنَّ مشايخ السنة ولو كبروا فإنهم لا يتغيرون في حفظهم ودرايتهم، فأئمة السنة من الأقدمين والمعاصرين لم يتغيروا في حفظهم، فهذا مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم ومئات من أئمة السنة من المتقدمين، وهذا الألباني وابن باز والعثيمين رحمة الله عليهم أجمعين، لم يتغيروا حتى ماتوا، ومنهم من هو في سكرات الموت يكتب الحديث ويقول: لعلي أكتب الكلمة التي فيها نجاتي، وهكذا فإن كل طاعن في العلماء يقول عنهم: قد تغيروا وكبروا ونسوا بغية رد أحكامهم، كما قال ذلك الحلبي وعرعور ولطيف الكردي وغيرهم عن الشيخ ربيع حفظه الله.
وفي المرة الأخيرة التي ذهبنا فيها إلى المدينة في رحلة العمرة في الشهر السادس من هذه السنة الهجرية: قد يسر الله لنا زيارة شيخنا ربيع المدخلي حفظه الله في بيته، وكان برفقتي أربعة إخوة إثنان منهم معتمران وإثنان من تلاميذ الجامعة، كلهم عراقيون، فكان مما جرى الحديث مع الشيخ أن سألني عن عبد اللطيف الكردي؟ فقلت له: عندي رد عليه، وسلمته الرد، فجعل الشيخ يقرأ ويصلح الأخطاء النحوية بيده، ويبين لي وجه الخطأ، مع أنَّ النسخة كانت صغيرة الحجم لا أستطيع قرائتها إلا بالنظارات، والشيخ يقرأ بدون نظارة، وهذا والله الذي

لا إله إلا هو ما حصل، وهو يدل على قوة حافظة الشيخ حفظه الله، وكذب والله من يدعي خلاف ذلك، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور .
أقول:
يظهر أنَّ الأخ سعداً يُحاول أن يصوِّر السلفيين الذي لا يقبلون التحذير من الشيخ محمد بن هادي حفظه الله بأنهم يتهمون الشيخ ربيعاً حفظه الله بأنه تغير بسبب كبر السن، وأنَّ هذا التغير أثَّر في ذاكرته وحفظه حتى أصبح ينسى ولا يتذكر وأثَّر في بصره فلا يُمكنه القراءة، وليس الأمر كذلك، بل الشيخ ربيع حفظه الله صاحب بصيرة قوية وعلم ثاقب وذاكرة واسعة، لكنه عالم كباقي العلماء يصيب ويخطئ ويذهل وينسى أحياناً.
قال الشيخ ربيع حفظه الله في رسالته [منهج الإمام مسلم في ترتيب كتابه الصحيح ودحض شبهات حوله – تحت فقرة "مواجهة أباطيل وغلو يرفضه الإسلام"]: ((وأضيف شيئاً من التوضيح: واعلم أولاً أنَّ الدارقطني رحمه الله كان حافظاً ناقداً مدرسة في النقد، وقد استفدتُ من هذه المدرسة كثيراً، ومع إعجابي به وإكباري له أعرف أنه بشر يصيب ويخطيء ويحفظ وينسى شأن البشر، ويفوته ما بلغ غيره، والنسيان أمر لا ينجو منه أحد من البشر حتى الأنبياء؛ قال تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نسي آدم فنسيت ذريته..." الحديث، وقال تعالى حاكياً عن نبيه موسى عليه السلام حين اعتذاره إلى الخضر عليه السلام: "لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن نبي الله موسى في قصته مع الخضر: "فكانت الأولى من موسى نسياناً"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيتُ فذكروني".
وطالب الحق لا يصرفه الإعجاب والإكبار للشخصيات الكبيرة عن اتباع الحق والإنصاف والعدل، فإنَّ الحقَّ أحق أن يتبع، والحجة لا يجوز إسقاطها من أجل هذا الرجل العظيم أو ذاك، فمبدأ المسلم المنصف الطالب للحق دائماً "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين")).

وقال: ((وعلى هذا الأساس يسير الدارقطني في كتابيه "العلل" و "التتبع" غالبًا، وقد يتغير سيره مثله مثل غيره من الأئمة؛ لأنهم بشر معرضون للخطأ والنسيان)).
وقال: ((وعذره في هذين الأخيرين النسيان؛ لأنه كان يملي "العلل" من حفظه، ولا يقول عاقل: إنَّ عدم ذكره للاختلاف على الليث يدل على عدم وجوده؟ لأنَّ هذا يخالف أوضح البديهيات عند العقلاء فضلاً عن المسلمين وذلك أنه بشر ينسى، وقد يعلم غيره ما لم يعلمه، أولاً.
وثانياً: أنَّ من حفظ حجة على من لم يحفظ، وقد ذكر غيره ما فاته ذكره.
ذكرت هذا لأنَّ المليباري وصل من خلال بحثه إلى أنه لا وجود للاختلاف على الليث بن سعد ولا وجود لذكر ابن عباس في روايته!، ودندن حول هذا كثيراً بما ينبو عنه السمع والعقل، وغلا في البخاري والدارقطني وأطرى في علمهما وحفظهما حتى كاد يجعلهما في مرتبة "من لايضل ولا ينسى" جلَّ شأنُه)).
وقال مخاطباً المليباري: ((فهل أنت مستعد أن تقبل قولي أو قول غيري: أنه يحتمل إلى أبعد الحدود أن يكون نسيه حينما كان يكتب في "التاريخ"، وأنه أولى وأليق من القول بأنه تركه عمداً؟ أو سترفع البخاري فوق مستوى الأنبياء والصحابة الكرام وستستبعد عليه "النسيان" استبعاداً ما بعده استبعاد؟!)).
وقال: ((على كل حال: فإذا كان النسائي لم يحط بكل شيء علماً؛ فكذلك نقول في البخاري والدارقطني والقاضي عياض، وإذا كان الأنبياء والصحابة ينسون كما هو مقرر في الكتاب والسنة وعند خلاصة الأمة؛ فالبخاري والدارقطني أولى بالنسيان)).
وقال في [حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام]: ((وقد وقعت فتاوى من بعض العلماء مخالفة لنصوص من القرآن والسنة لا تعمداً منهم، وإنما هو لعذر من الأعذار التي يعذرهم الله بها، ومنها ما ذكرناه كالنسيان أو عدم بلوغ النص، ويحصل مثل ذلك للأئمة الكبار للأسباب نفسها التي يعذرهم الله بها)).

وقد قال السيوطي في [تدريب الراوي]: ((قال ابن الصلاح: وقد روى كثير من الأكابر أحاديث نسوها بعد ما حدَّثوا بها؛ وكان أحدهم يقول: "حدثني فلان عني عن فلان بكذا"، وصنَّف في ذلك الخطيب "أخبار من حدَّث ونسي"، وكذلك الدارقطني)).

أقول:

ولا ريب أنَّ كبر السن وضعف القوة يمنعان صاحبهما من فعل أشياء كثيرة كان يفعلها في حال القوة والشباب، وهذا أمر طبيعي، لا يُذم المرء عليه ولا يعاب، قال تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ))، وقد أخرج الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث عشرة ركعة فلما كبر وضعف أوتر بسبع"، وأخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر بتسع ركعات لم يقعد إلا في الثامنة؛ فيحمد الله ويذكره ويدعو، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يصلي التاسعة فيجلس فيذكر الله عز وجل ويدعو، ثم يسلِّم تسليمة يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس، فلما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة، ثم ينهض ولا يسلِّم فيصلي السابعة، ثم يسلِّم تسليمة، ثم يصلي ركعتين وهو جالس".

وقد قال الأخ عبدالرحمن بن علي الجزائري في مقال منشور في منتديات "التصفية والتربية" و [مجموعة طلاب المدينة على الواتساب]: ((سألتُ شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ليلة البارحة ليلة السبت ١٤ ربيع الأول ١٤٣٧هـ عن درسه الذي افتتحه السنة الماضية، وأنَّ كثيراً من طلبة العلم يسألون عنه، وأنهم في حماس وشوق له، واستفسرت عن موعد رجوعه؟ فقال متعنا الله به متأسفاً حزيناً: "أنا تعبتُ وعجزتُ ولو كانت لدي طاقة لدرَّستُ ليل نهار"، ثم قال نفع الله به: "رحم اللهُ امرئ عرف قدر نفسه، وأنا أخاف أن أخطأ أو أنسى لكبري")).

فالشيخ ربيع حفظه الله كان قبل سنتين يكتب مقالاته وردوده ويتتبع المقالات بنفسه ويشرح بعض المتون في العقيدة والحديث وله درس

في التفسير في كل رمضان ويقرأ المؤاخذات على فلان أو فلان، أما بعد أن ضعفت صحته فهذه الأمور قلَّت بلا ريب، وهو الآن قائم بالعلم من جهة السؤال والجواب أو يُقرأ عليه بعض البيانات أو المقالات المختصرة التي لا تتجاوز بضعة أوراق أو أكثر أو أقل، والجلسات معه لا تتعدى دقائق معدودة حفاظاً على صحته، وهذا أمر طبيعي بالنسبة إلى كبر سنه ومرضه وضعف بدنه، لكنَّ البعض لا يرضى أن يقال هذا ويحاول دفعه بكلام يخالف الواقع!، ويصوِّر الذي يعتذر للشيخ ربيع بهذه الأعذار طاعناً فيه، والله المستعان.

وقال الأخ سعد سدده الله في خاتمة مقاله:

هذا وليحذر امرئ على نفسه من الضياع، فالفتن لا تزاول المؤمن حتى يفارق الدنيا، وهذه الفتنة ليست هي الأخيرة كما أنَّ فتنة الحلبي لم تكن الأخيرة، والمؤمن يجب عليه أن يكون الحق عنده أغلى من الرجال ولو عظموا، والله المستعان وعليه التكلان، أسأل الله تعالى أن يثبتنا وإخواننا السلفيين جميعا على صراطه المستقيم حتى الممات، وأن يهدي الضال، ويرد الشارد، والله أعلم، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

سعد النايف

١٩/ذي القعدة/١٤٣٩.

أقول:

نعم الفتن تعرض على القلوب بكثرة في آخر الزمان، ولا بدَّ من التفريق بين (الفتنة التي تقع بين أصحاب المنهج الواحد) وبين (الفتنة التي تقع بين منهجين مختلفين)، فالأولى لا نخوض فيها ونسعى جاهدين إلى وأدها أو تضييق أثرها والإصلاح بين أطرافها كمثل الفتنة التي حصلت بين الإمامين محمد بن يحيى الذهلي والبخاري رحمهما الله، والثاني يجب أن يقف السلفي مع أهل الحق فيها ضد أهل الباطل كمثل الفتنة التي وقعت بين الإمام أحمد رحمه الله وحسين الكرابيسي، ومن لا يعرف الفرق بين الفتنتين لا ينبغي له أن يتكلَّم في هذا المقام فضلاً أن

يكتب رداً على طرف من الأطراف، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا إلى معرفة الحق وأن يجنبنا مضلات الفتن.
والله الموفِّق

كتبه
السلفي الأبي